

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْكِرَامُ،

يَقُولُ الْمَوْلَى خَالِقُ الزَّمَانِ وَمَالِكُ الْمُلْكِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا * وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾¹. وَشَاءَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَ كِيَانَ الْإِنْسَانِ مُرْتَبَطًا بِمَفْهُومِي الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ. وَفِي وَاقِعِ الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ الَّذِينَ خَلَقَهُمَا ذُو الْجَلَالِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَعِيشُ سَائِرُ الْمَخْلُوقَاتِ، وَعَلَى رَأْسِهَا بَنِي الْإِنْسَانِ. وَلِأَنَّ الْمَكَانَ شَيْءٌ لَهُ وُجُودٌ مَحْسُوسٌ، يَسْتَطِيعُ الْإِنْسَانُ أَنْ يَفْهَمَ قِيَمَتَهُ بِشَكْلِ أَوْضَحٍ. وَأَمَّا الزَّمَانُ، فَلِأَنَّهُ شَيْءٌ مُجَرَّدٌ وَلَيْسَ ذَا وُجُودٍ مَحْسُوسٍ، فَقَدْ يَعْغُلُ الْبُشْرَ عَنْ إِدْرَاكِ قِيَمَتِهِ وَإِعْطَائِهِ مَا يَسْتَحِقُّ. وَذَلِكَ مَعَ أَنَّ مِنْ شَرْطِ نَجَاحِنَا، سِوَاءٍ فِي الدُّنْيَا أَوْ فِي الْآخِرَةِ؛ أَنْ نَسْتَغْلِ أَوْقَاتِنَا هَذِهِ بِأَيَّامِهَا وَسَاعَاتِهَا وَدَقَائِقِهَا بَلْ وَحَتَّى ثَوَانِيهَا.

إِخْوَتِي الْأَعْرَاءُ،

إِنَّا مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ، الْمُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ، بِالتَّكْيِيدِ مُدْرِكُونَ أَنَّنَا مُكَلَّفُونَ مِنْ قِبَلِ اللَّهِ تَعَالَى بِإِعْمَارِ هَذِهِ الْأَرْضِ. وَلَكِنْ عَلَيْنَا أَلَّا نَنْسَى أَيْضًا نِدَاءَ الْمَوْلَى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الْقَائِلِ: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۗ وَلَدَلَّارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾². فَيَنْبَغِي أَلَّا نَنْسَى أَنَّ شَطْرَ الْآخِرَةِ مِنْ حَيَاتِنَا هُوَ الشَّطْرُ الْأَصْلِيُّ وَالْأَبْدِيُّ. رُوِيَ عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ مِنْ كِبَارِ التَّابِعِينَ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ قَالَ: "يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّمَا أَنْتَ أَيَّامٌ، إِذَا ذَهَبَ يَوْمٌ ذَهَبَ بَعْضُكَ"³. وَقَالَ أَيْضًا وَهُوَ يَقْصِدُ الصَّحَابَةَ: "أَدْرَكْتُ أَقْوَامًا كَانُوا عَلَى أَوْقَاتِهِمْ أَشَدَّ مِنْكُمْ حِرْصًا عَلَى دَرَاهِمِكُمْ وَدَنَانِيرِكُمْ"⁴.

وَكَذَلِكَ الْخَلِيفَةُ الصَّالِحُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَفَتَ انْتِبَاهَنَا إِلَى قِيَمَةِ الْوَقْتِ حِينَ قَالَ: "إِنَّ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ يَعْملَانِ فِيكَ، فَاعْمَلْ فِيهِمَا"⁵.

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْكِرَامُ،

إِنَّا نَمُرُّ بِزَمَانٍ إِزْدَادَ فِيهِ مَيْلُ النَّاسِ إِلَى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَتَعَاوَلَ فِيهِ النَّاسُ عَنِ الْآخِرَةِ، وَصَارَتْ هَذِهِ هِيَ طَرِيقَةُ الْحَيَاةِ الْمُتَّبَعَةِ عَلَى مُسْتَوَى الْعَالَمِ، بَلْ وَصَارَ يُدْفَعُ إِلَيْهَا النَّاسُ دَفْعًا. وَكَأَنَّ الْقُرْآنَ يَصِفُ حَالَ النَّاسِ فِي هَذَا الْعَصْرِ حِينَ يَقُولُ مُحَدِّثًا: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ * وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ﴾⁶. وَهَذَا مَعَ أَنَّ السَّعَادَةَ الدُّنْيَوِيَّةَ لَا تُتَالُ بِالْإِهْتِمَامِ بِالدُّنْيَا. يَقُولُ يُونُسُ أَمْرَهُ مِنْ كِبَارِ أَوْلِيَاءِ أَنْصُولٍ: "مَنْ كَانَ هَمُّهُ الدُّنْيَا، كَانَتْ هُمُومُهُ بِقَدْرِ الدُّنْيَا". بَيْنَمَا يَنَالُ سَعَادَةَ الْآخِرَةِ وَسَعَادَةَ الدُّنْيَا كَذَلِكَ؛ الَّذِينَ يَكُونُ هَمُّهُمْ هُوَ الْفُوزُ بِالْآخِرَةِ وَيَسْعَوْنَ إِلَى ذَلِكَ بِالْحَسَنَاتِ وَالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا.

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْكِرَامُ،

يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خَيْرُ النَّاسِ مَنْ طَالَ عُمُرُهُ وَحَسَنَ عَمَلُهُ»⁷. فَاسْأَلِ الْمَوْلَى عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُبَارِكَ فِي أَعْمَارِنَا وَأَنْ يُعَمِّرَهَا بِالْخَيْرِ وَالصَّحَّةِ، وَأَنْ يَجْعَلَنَا مِمَّنْ عَرَفُوا قِيَمَةَ أَوْقَاتِهِمْ فَاسْتَغْلَوْهَا فِيمَا يُرْضِيهِ سُبْحَانَهُ، وَأَنْ يَجْعَلَنَا مِمَّنْ أَتَوْهُ فِي الْآخِرَةِ بِصَالِحِ الْأَعْمَالِ فَفَازُوا بِرِضَا رَبِّهِمُ الرَّحِيمِ. إِنَّهُ وَلِيُّ ذَلِكَ وَالْقَادِرُ عَلَيْهِ، آمِينَ.



⁵ قيمة الزمن، أبو غدة، ص 27

⁶ سورة القيامة: 20-21

⁷ سنن الترمذي، كتاب الزهد، 2

¹ سورة الفرقان: 61-62

² سورة الأنعام: 32

³ مسند أحمد، كتاب الزهد، 392/2، الحديث رقم (1591)

⁴ قيمة الزمن، أبو غدة، ص 26